الذاكرون الله كثيراً
والذاكرات

جميع حقوق الطبع والتصوير محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧م

يطلب من

مكتبة دار المستقبل

سوريا - حلب

هاتف: ٠٠٩٦٣ ٢١ ٣٢١١٠٩٦

# الذاكـرون اللّه كثيـراً والذاكـرات

حول طريق التقرب إلى الله عزَّ وجل

والعمل على ذكره

والتمسك بالتوبة

تأليف

مصطفى إبراهيم شوا

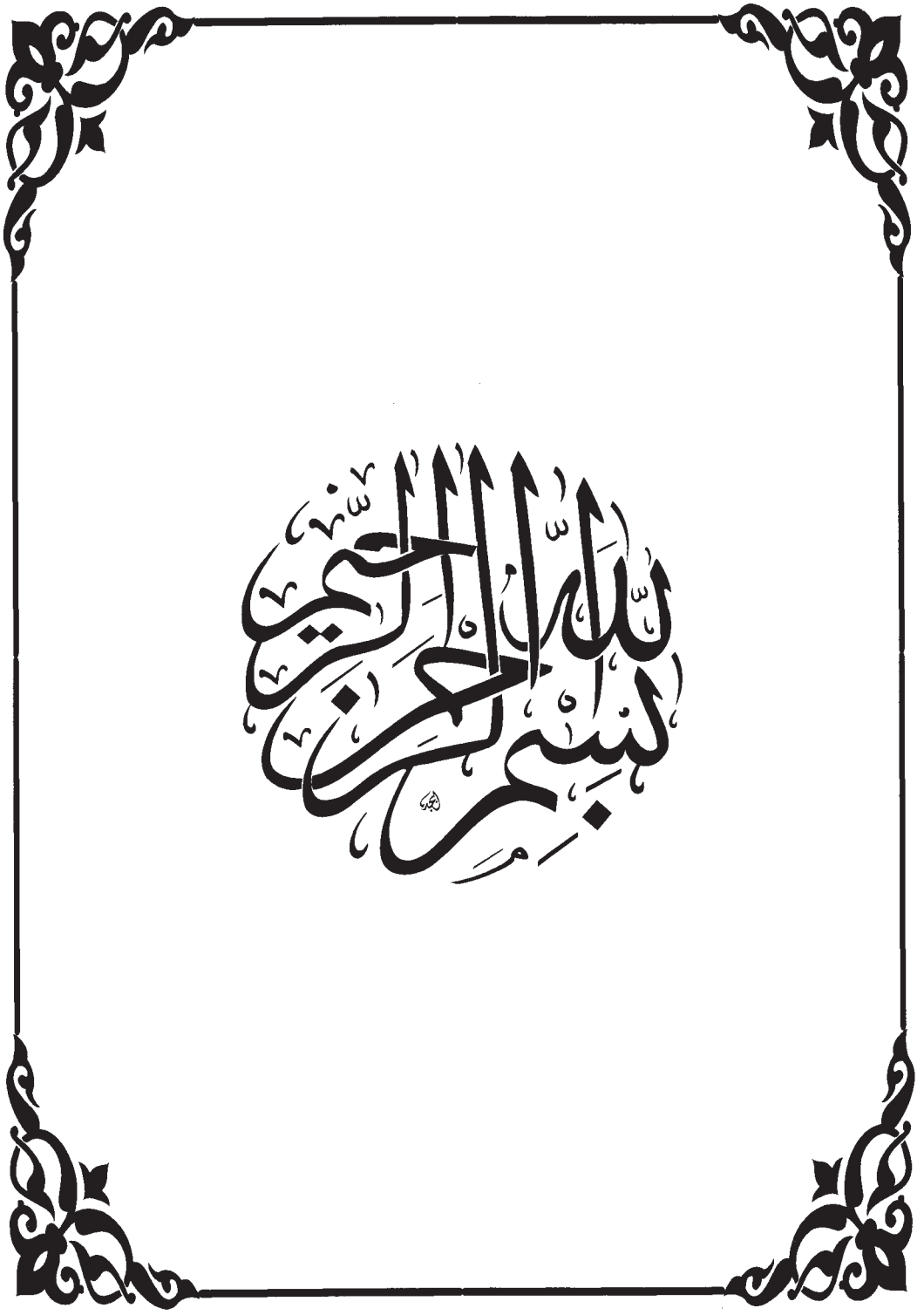
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

## تمهيد:

فمن خصائص هذه الأمة المحمديَّة، أن الله تبارك وتعالى أكرمها بنبيها عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، وقد شرع لها في كتابه شرعة يستنير بها العبد في حياته لكي يكون معتصماً بحبل الله عزَّ وجل وبسنة نبيه المصطفى ﷺ وحيث أنه يتعرض إلى مشاق الحياة وضيق التعامل بينه وبين الناس لهذا كان لابد بأن يكون له شيء يشرح به صدره ويفرج به همه فكان رسول الله ﷺ هو النور الذي يستضاء به في الدنيا والآخرة فبعثه الله تبارك وتعالى رحمة مهداة للعباد، وقد علمنا أن العبد يمكنه أن يكون في صلة بربه مباشرة في أي وقت

من أوقاته دون حاجزٍ يحجزه عن ربه جل وعلا وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1] فالعاقل: هو الذي يكون ملتزماً بدينه وشريعته ومحافظاً عليها وعلى سنة نبيه ﷺ، وقد سئلت (رابعة العدوية) رضي الله عنها «إذا أدام العبد طرق الباب هل يفتح له؟ فأجابت: ومتى أُغلق بابه عن العباد» ـ ولهذا فقد اخترت هذه الباقة العطرة من أحاديث رسول الله ﷺ ودعواته التي تشرح الصدور وتنور القلوب وتهدي إلى الرشد وتقوي الأمل بالله عز وجل، فالله تبارك وتعالى يحب من عباده التقرب إليه ورفع اليدين، وعندها سوف ترى الكرم الإلهي الذي يمدك به تبارك وتعالى لقول رسول الله ﷺ واصفاً به ربه جل وعلا وهو كما وصفه ﷺ بقوله: «**إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبَتَيْن**»[2] وأرجو من الله تبارك وتعالى أن ينفعني به والمؤمنين في الدنيا والآخرة وأن يكون ذخراً لي ولوالدي وأولادي والمسلمين أجمعين وقد سميت هذه الباقة العطرة من الأحاديث وهي واردة في الصحاح، و كما أنها من سنة المصطفى ﷺ ومما ورد في كتاب الله عزَّ وجل وقد سميتها الذاكرون الله كثيراً والذاكرات حيث قال تعالى مادحاً لهم في كتابه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] وكما أني أوردت فيها أحاديث عديدة وآيات من كتاب الله عز وجل، وقد جعلتها في أبواب متسلسلة وأقسام متنوعة، وسوف يكون في كل باب باقة من أحاديث رسول الله ﷺ حول

---

(١) سورة يوسف الآية: /١٠٨/.

(٢) وقد روي هذا الحديث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في سنن الترمذي ٣٥٥٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية: /٣٥/.

الوعظ والتقرب إلى الله تعالى، ومشتملة على ما يبني الإنسان عليه حياته بينه وبين ربه من جهة وبينه وبين الناس من جهة أخرى، وسوف تكون أبواب متسلسلة مع أقسامها بإذن الله تعالى وأول باب نبدأ به هو حول التوبة إن شاء الله مع أقسامه، والباب الثاني حول الاستغفار وأقسامه والباب الثالث حول الذكر وفضله، والباب الرابع حول الدعاء وأقسامه، وفيه جوامع الأدعية التي وردت عن رسول الله ﷺ، وهو جوهرة القلب والعقل بآن واحد، وهو غذاء أولي الألباب، وسوف نذكر بعض القصص عن بعض الصالحين، وحول ما يتعلق بكل باب من الأبواب، مما يتناسب معه، نسأل الله العلي العظيم أن يهدينا إلى الرشاد، من الأمر والحكمة والسداد في الرأي والعمل بهم، وأصلي وأسلم على حبيبنا وسيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين. وبعد.

**وكتبه**

**مصطفى إبراهيم شوا**

* * * * *

# الباب الأول

## حول التوبة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالحق الواضح الأبلج والإيمان الصادق والنور الوهاج وعلى آله وصحبه وسلم، إن القلوب تضاء بأنوار الله عز وجل وبالاطلاع على حديث رسول الله ﷺ فأرجو أن تستزيدوا فيها كل يوم وتكثروا بالعمل بها، واهتدوا بهديها رجاء النجاح والفلاح إن شاء الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]. وقال تعالى أيضاً ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ

---

(١) سورة النساء الآية: /١١٦/.

(٢) سورة الشورى الآية: /٢٥/.

(٣) سورة التحريم الآية: /٨/.

رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1] وقال تعالى أيضاً ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[2].

١ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظنَّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبراً، تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول»[3].

٢ـ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[4].

قيل: أوحى الله تعالى، إلى داود عليه السلام: لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم، ورفقي بهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقاً إلي، وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود هذه إرادتي في المدبر عني، فكيف إرادتي في المقبلين علي؟، يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي[5].. وكانت امرأة متعبدة تقول: والله لقد سئمت الحياة، حتى ولو وجدت الموت يباع، لاشتريته شوقاً إلى الله تعالى، وحبًّا للقائه. فقيل لها: فعلى ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا،

---

(١) سورة الحجر الآية: /٥٦/.

(٢) سورة الأنعام الآية: /٥١/.

(٣) رواه مسلم في صحيحه /٢١٠٢/.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه /٧٦١٧/ والحاكم في المستدرك على الصحيحين كذا أحمد في المسند ابن ماجه في الزهد والدارمي في الرقاق.

(٥) منهاج القاصدين /٣٨٣/.

ولكني لحبي إياه وحسن ظني به، أفتراه يعذبني وأنا أحبه ...!؟؟ والله أعلم[1].

٣ـ حدثنا عثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم ـ واللفظ لعثمان ـ (قال إسحاق: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا، جرير عن الأعمش، عن عمارة ابن عمير، عن الحارث بن سويد، قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو بحديثين مريض، فحدثنا بحدثين، حديثاً عن نفسه، وحديثاً: عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «الله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»[2].

٤ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[3].

اعلم أن الذنوب حجاب عن المحبوب، والانصراف عما يبعد عن المحبوب واجب، وإنما يتم ذلك بالعلم والندم والعزم، فإنه إن لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم على الذنوب ولم يتوجع بسبب سلوكه طريق البعد، وإذا لم يتوجع لم يرجع، وقد أمر الله تعالى بالتوبة بقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] وقال

---

(١) منهاج القاصدين ٣٨٣.

(٢) رواه مسلم رحمه الله في صحيحه /٢٧٤٤/ ـ البخاري ٦٣٠٨ ـ الترمذي (٢٥٠٠ ـ ٢٤٩٩) ـ أحمد ١/ ٣٨٣ ـ أبو يعلى ٥١٠٠.

(٣) رواه ابن ماجه برقم /٤٢٥٠/ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) سورة النور الآية: (٣١).

أيضاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

٥ـ وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»[2].

## حول التوبة

**التوبة**: اعلم أن التوبة هي الرجوع عن الذنب، والتوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مُرتَّبة هي: علم، وحال، وفعل، العلم الأول، والحال الثاني، والفعل الثالث، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث، إيجاباً اقتضاه المراد سنة الله في الملك والملكوت، أما العلم: فهو معرفة عِظَمُ ضرر الذنوب كونها حجاباً بين العبد وربه، فالذنوب تكون على قلب العبد حجاباً تمنعه من عمل الخير، ومن هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب حينما يشعر بفوات محبوبه تألم فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندماً، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى عليه، انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال والماضي وباستقبال العزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء وإن كان قابلاً للجبر، فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات، وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين، فإن

---

(١) سورة البقرة الآية/٢٢٢/.

(٢) رواه مسلم /٢٧٠٢/، أبو داود /١٥١٥/، أحمد ٤ ـ ٢١١/٢٦١/٤١٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة /٤٤٢/ من حديث الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه وليس للأغر في الكتب الستة إلا هذا الحديث.

الإيمان: التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، واليقين: تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب، فيثمر نور الإيمان مهما أشرق على القلب، وأما الندم يتألم القلب بعظمة الذنوب وضررها على القلب لأنه صار محجوباً عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه، فالعلم والندم هم من أصول التوبة وللتوبة شروط.

٦ـ وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام «الندم توبة»[1].

## شروط التوبة

**للتوبة شروط** فعلى العبد أن يتقيد بهذه الشروط، فهي الشروط التي يحمي بها الإنسان نفسه من المعاصي والتي تغير له مجرى حياته بعد التوبة من الذنوب التي كان يرتكبها والتي تقوده إلى الهاوية في نار جهنم والعياذ بالله، فإذا تقيد العبد التائب بشروط توبته وكانت توبة نصوحاً فإنها تكون توبة خالصة لله عز وجل، وتكون بإذن الله طريق الهدى المستقيم للعبد الذي هو أحوج ما يكون له بعد تلك الذنوب التي ارتكبها، وعليه أن يكون صادقاً بهذه التوبة وأنه مقبل عليه حال اليقين بربه، متمسك بدينه بعد الذي فرط به، لأنها دنيا فانية وقطار العمر سريع، فعليه التزود بما يليق به حين يقابل ربه عز وجل وأن يستبشر بغفران ربه له إذاً فشروط التوبة هي ثلاثة:

**أولها**: الإقلاع عن الذنب وعدم العودة له. **والثاني**: الندم على فعل تلك المعصية. **والثالث**: العزم على أن لا يعود إليها أبداً.

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم.

وقد قال بعض الفقهاء للتوبة شروط أخرى ومن جملتها أن يكون باراً لوالديه، وأيضاً أن لا يكون عاقاً لهما، فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها شرط رابع غير هذه الشروط التي ذكرتها **وشرطها الرابع** : هو التحلل من صاحب ذلك الحق، وأجلها الندم وهو شرطها الأعظم، وإن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المؤكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وعند المعتزلة، ولا يجب على الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عن أهل السنة، ولكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرماً وفضلاً منه، قال العلماء فرح الله تعالى هو رضاه، والفرح ينقسم على وجوه منها السرور، والسرور يقاربه الرضا بالمسرور به. فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة، فعبر عن الرضا بالفرح تأكيداً لمعنى الرضى لنفس السامع. وقوله (دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض) إلى آخره ثم ذكر حديث رسول الله ﷺ. ولم يذكر حديث عبد الله عن نفسه.

٧ـ وقوله ﷺ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه»[1] فقال به هكذا.

وفي رواية الترمذي «وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار» هذا ما ورد في رواية الترمذي.

والأحاديث كثيرة في هذا الموضع، والإجماع منعقد على وجوب التوبة لأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى، فيجب الهرب منها على الفور وذلك بالتوبة السريعة النصوحة.

---

(١) وقد ذكره البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما.

٨ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»[١].

واعلم أيها العبد أن رسول الله ﷺ حين قال ما لم يغرغر أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم، والمقصود ما لم يعاين أحوال الآخرة، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[٢]. ويروى عن الحسن أنه قال: لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام، هنأته الملائكة، وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام، فقال: يا آدم: قرت عينك بتوبة الله عليك. فقال آدم عليه السلام، يا جبريل، فإن كان بعد التوبة سؤال فأين مقامي؟ فأوحى الله إليه (يا آدم، ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم التوبة، فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك، ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه، لأني قريب مجيب يا آدم، وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعائهم مستجاب).

ويرحم الله القائل:

**متى تهجر الدنيا وتنوي لها بغضاً ... وتركك للعصيان حقاً حتى يقضى**
**متى يا ضعيف الوجه تضمر توبة ... وعمرك في الدنيا يساق بها ركضا**
**فلا بد بعد الموت أن تسكن البلى ... يرضيك ثقل اللبن تحت الثرى رضا**
**وتعطى كتاباً فيه كل فضيحة ... وتشهد أهوال القيامة والعرضا**
**فقم في دياجي الليل لله طائعاً ... لعل الذي أسخطته لعسى يرضا**

---

(١) رواه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه/٣٥٣٧/.

(٢) سورة النساء الآية: /١٨/.

٩ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي**»[١] والتوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو عن معصيته بالجوارح، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، وإن خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص ولا يسلم أحد من النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما أصل ذلك فلابد منه.

١٠ـ قال النبي ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة**»[٢]. ولذلك أكرمه الله تعالى بقوله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣].

١١ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خلق الله مائة رحمة، فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسع وتسعون رحمة**»[٤].

١٢ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد**»[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رحمه الله /٧٠١٥/

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه /٦٣٠٧/، وكذا منهاج القاصدين /٢٧٢/.

(٣) سورة الفتح الآية: /٢/.

(٤) رواه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه /٣٥٤١/.

(٥) رواه الترمذي ٣٥٤٢.

# متى وقت التوبة

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

١٣ـ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر عن شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي بردة، قال سمعت الأغر وكان من أصحاب النبي ﷺ يحدث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[2].

١٤ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[3].

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان وهو واجب على الفور وضرر الذنوب يجب تركها على الفور فمن لم يتركها فهو ناقص الإيمان لقوله ﷺ:

١٥ـ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[4]. والمراد به نقص أو ضعف الإيمان الذي يرجع إلى العبد بصلته بربه جل وعلا، فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان، وليس باب واحد بل هو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، ومثال ذلك قول القائل ليس الإنسان موجوداً واحداً بل هو نيف وسبعون موجوداً (والنيف هنا جزء) أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظافر نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن

---

(١) سورة النور الآية: /٣١/.

(٢) رواه مسلم /٢٧٠٢/ وقد أوردته في بداية هذا الباب.

(٣) رواه الإمام مسلم رحمه الله /٢٧٠٣/.

(٤) متفق عليه للبخاري /٢٤٧٥/، ومسلم /٥٧/ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

البهائم، وهذا كله من الإيمان ويجب أن يكون العبد نزيهاً عن كل أعمال السوء والفحشاء، وكل إيمان ناقص يخاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله من ذلك، فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المغرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته، وإن الموت غالباً لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت، وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة، ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود في النار، فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فسموم الدين هي الذنوب، فيجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر، فإن الخوف من فوات الأوان وانقضاء العمر هنا يكون العبد قد هلك، فلهذا يجب على العبد أن يتوب إلى ربه من كل معصية وأن يحارب نفسه صباحاً ومساء وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] إذ نجد هنا أن العبد قد أنذره ربه سبحانه وتعالى فيجب على العبد أن يغتنم العمر وأن يكون من عباد الله التائبين، فهنا نص الآية الكريمة من سورة يس هو نص صريح لا يحتمل الجدل فيه فقد أنذر به إنذاراً قوياً صريح العبارة، وهو بأعلى نموه العقلي، فعلى العاقل أن لا يفرط بوقته ولو فرط بوقته وعقله فهو يكون هنا مثل أبي جهل لعنه الله لأنه كان ذو عقل وتمسك بعقله الغافل عن ربه وأيضاً الوليد بن المغيرة وانقلب جهلهم على عقولهم، والعياذ بالله من هذه العقول، وقد بين سبحانه لنا في كتابه بأن الله سبحانه فتح لنا باب التوبة والرحمة بقوله تعالى:

---

(١) سورة يس الآية: /٨ ـ ١٠/.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[2].

١٦ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ أكثر من سبع مرات «سمعته يقول كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال ما يبكيكِ أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك، وقال والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه إن الله قد غفر للكفل»[3].

فانظر إلى كرم الله عزَّ وجل حين أدرك الكفل معصيته وأدرك خشية الله فقد أكرمه الله عز وجل أن غفر له، وأن الله تبارك وتعالى يحب عباده التوابين وإن كان الوقت متأخراً، ولكن الكفل لم يغرغر بعد، فعلى العبد أن يدرك نفسه وأن يعجل بالتوبة فإنه لا يدري متى يكون الأجل فيكون قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين أيها العبد أعود إليك وأذكرك بحديث رسول الله ﷺ الذي ذكرته في بداية الكتاب.

١٧ـ «أن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين»[4] فهذا الحديث يعطيك قوة اليقين بأن الله تبارك وتعالى سوف يكرمك ويرحمك وأنه جلَّ وعلا هو الرحمن الرحيم قابل التوب وهو شديد العقاب وهو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء الآية: /١١٠/.

(٢) سورة النصر الآية: /٣/.

(٣) رواه الترمذي رحمه الله في سننه ج٤/٢٤٩٦/وأحمد في المسند /٤٧٣٣/.

(٤) رواه الترمذي /٣٥٥٦/ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

# بيان أقسام الذنوب

اعلم أيها العبد أن للإنسان أخلاقاً وأوصافاً كثيرة لكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات **أحدها** : صفات ربوبية: ومنها يحدث الكبر والفخر وحب المدح والثناء والعز وطلب الاستعلاء ونحو ذلك، وهذه ذنوب مهلكات، وبعض الناس يغفل عنها فلا يعدها ذنوباً، **أما الثانية** : صفات شيطانية: ومنها يتشعب الحسد والبغي والحيل والخداع والمكر والغش والنفاق والأمر بالفساد ونحو ذلك، **أما الثالثة** : فهي الصفات البهيمية: ومنها يتشعب الشر والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج فيشعب ذلك في الزنى واللواطة والسرقة وأخذ الحطام لأجل الشهوات، **أما الرابعة** فهي الصفات السبع: ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالقتل والضرب وأخذ الأموال وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة، فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً ثم تتبعها الصفة السبعية ثانياً، فإذا اجتمعت هاتان استعملتا العقل في الصفات الشيطانية من المكر والخداع والحيل، ثم تغلب الصفات الربوبية فهذه أمهات الذنوب ومنابعها، ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع إلى الجوارح فبعضها في السمع وبعضها في اللسان وبعضها في البطن والفرج وبعضها في اليدين والرجلين وبعضها في القلب كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء وبعضها في العين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة إلى تفصيل ذلك فإنه واضح.

* * * * *